AL-ʻULŪM ISSN: 2709-3484 (Print) | 2709-3492 (Online)
https://alulum.net/ojs/index.php/aujis/about
(January-June 2024), 5:1(1-27)

النهج الوارد في صون الموارد

ابتسام بيضون

أستاذة في العقيدة الإسلامية ومنهجية البحث، الجامعة العالمية، لبنان

The Revelated Way to Preservation of Resources

Ibtissam Baydoun (Ph.D)[1]

Professor in the Islamic Creed and Methodology of Research, Global University, Lebanon

Keywords:

Sunnah, resources, natural, excessiveness, sustainability

Abstract: *The prophet's Sunna has been and still is the bright sun that lights our lives, it shows us what's best for our life and the hereafter, surrounds us with its warmth, and feeds our hearts and nurtures them. Islam is the religion of moderation in everything, neither excessiveness nor negligence, and whenever we drift away from its teachings we plunge in the swamps of extremism and negligence. Therefore, with the following of these teaching, we can achieve the much-needed sustainability of our natural resources, from air and water to sunlight to crops etc. in order to prevent the depletion of the resources- that is often an indirect result of many individuals' ignorance in religion. The natural resources are need of humanity which can be preserved to utilize them under the guidance of Allah Almighty. Therefore, the problem of my research will be narrowed down to exploring how to learn from our Prophet- the teacher of civilization- the preservation and sustainability of our natural resources through a historical, retrospective and a deductive methodology, as well as an analytical explanatory one of the verses of the Qur'an.*

How to Cite:
Baydoun, I. النهج الوارد في صون الموارد: The Revelated Way to Preservation of Resources. Al-'Ulūm Journal of Islamic Studies, 5(1). Retrieved from https://alulum.net/ojs/index.php/aujis/article/view/145

1. Corresponding author Email: ibtissam.baydoun1@gmail.com

المدخل

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد: فإن من النعم ما لا تعرف إلا بفقدها، قال الله جلّ من قائل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: "ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته..."[2]، وورد في تفسير الحديث: "معنى الراعي ههنا الحافظ المؤتمن على ما يليه، يأمرهم بالنصيحة فيما يلونه، ويحذرهم أن يخونوا فيما وكل إليهم منه أو يضيعوا، وأخبر أنهم مسؤولون عنه ومؤاخذون به"[3].

يعتمد البشر في الحياة الدنيا بنحوٍ أساسي للحصول على الغذاء والماء على الموارد الطبيعية، إما مباشرةً، أو باشتقاقها وتحويلها بطريقة غير مباشرة، مثل الوقود الأحفوري[4]، الذي يُعتبر أحد أهم مصادر الطاقة غير المتجددة في العالم التي يحتاج لها الناس في المنازل والمصانع وقطاع النقل وقطاع البنى التحتية، وبالتالي فإنَّ معظم الموادّ والأدوات التي نستخدمها يعود أصلها أو بعض أجزائها إلى الموارد الطبيعية.

في وقتنا الحالي نعايش تلاحق الأزمات الأمنية والاقتصادية والصحية ورزوح البلاد والعباد عامة تحت تداعياتها، ونرى ما يليها من انهيارات اجتماعية وخلقية، فكان لا بد من دراسة معمَّقة نشرف من خلالها على النهج المحمدي للتأسي به، فما ساءت أحوال البلاد إلا مع انحدار قيم المجتمعات والبعد عن نهج رسولنا الكريم ﷺ، لذا ستكون إشكالية بحثي منحصرة في التالي:

ما هو نهج رسولنا محمد ﷺ في صون الموارد الطبيعية؟

كيف يتأثر الفرد والمجتمع والوطن بهدر الموارد الطبيعية؟

المجتمع المحصَّن هو المجتمع المؤلف من أفراد تربّت على القيم السامية والأخلاق العالية، أفراد تعلمت ما لها من حقوق وما عليها من واجبات ومسؤوليات، أفراد عرفت حدودها ولم تتعدّها، أفراد عضُّوا بالنواجذ على تعاليم الشرع، وسكنت قلوبهم وعمرت بجمال وبركة الالتزام. والأسرة

---

[1]- **القرآن**، 16: 18.

[2]- مسلم بن الحجاج القشيري، **الجامع الصحيح** (بيروت: دار الفكر، 1403ه)، 3: 145.

[3]- أحمد بن محمد أبو سليمان الخطابي، **معالم السنن** (حلب: المطبعة العلمية، ط:1، 1351ه)، 3: 2.

[4]- الوقود الأحفوري: من مصادر الطاقة غير المتجددة، وهو عبارة عن مجموعة من المواد المركبة من الهيدروكربون، والتي تكون في باطن الأرض، ويشمل عدة أنواع وهي: الفحم، والنفط، والغاز الطبيعي، والتي تشكل 80% من الطاقة حول العالم.

د. أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة** (بيروت: عالم الكتب، ط:1، 1429ه)، 1: 520.

خلية من قفير المجتمع؛ فلا بد من غرس الأسس الصحيحة والأخلاق العالية والمفاهيم الراقية والعادات السامية في نفوس الأفراد، إذا أردنا بناء أسرة صالحة تكون نواةً للمجتمع الصلب، فوعي الفرد يعتبر من أهم عوامل بناء المجتمعات وتقدمها، وهو سبب رئيس في تأمين الطمأنينة والسعادة للمجتمع، لذا نسعى للتأصيل الشرعي لهذه القضايا المستجدة والمعاصرة والتي يحتاجها المجتمع الإنساني من جهة من خلال ربطها بالسنة المطهرة، وبيان سبق الشريعة الإسلامية للرقي والتطور في مجال تنمية الموارد، والنظر الواقعي والمستقبلي لتفاعلات هذه القضايا على أمتنا من جهة أخرى وفي هذا تتجلى أهمية البحث.

ومن المعلوم أن أول خطوة لعلاج الداء هو التنبه لعوارضه وفهم أسبابه، ومن عظمة شرعنا الحنيف أننا نجد فيه البلسم الشافي لكل جرح، والدرع الواقي من سيوف الجهل والتهور وألم الزمان والتحول. لذا اخترت أن أخوض في هذا البحث لإظهار عظمة النهج النبوي عبر إلقاء الضوء على ما أولته السنة النبوية المطهرة من اهتمام بهذه القضايا المعاصرة وإبراز معالم الأحكام التي لو التزمها الناس لعاشوا بأمان وطمأنينة فربوع السنة المطهرة هي الظل الظليل للهارب من حر الفساد والإفساد، كما أردت لفت أنظار المشككين إلى مسألة كمال بحر السنة الطاهرة وسعة حوضها بما لا يدع شك ولا ريب للإيمان بها وبكمالها وتمامها، عبر تأصيل إدارة الموارد وإظهار روعة ديننا الحنيف الذي فيه صلاح الدنيا والدين، من خلال التطبيقات النبوية العملية لها، إذ الشريعة الإسلامية رائدة في ترسيخ أسس تنمية الموارد وتوعية الفرد وصون المجتمع الإسلامي. وسعيت أن ينحصر بحثي بالمناهج الآتية:

المنهج "الاسترادي التاريخي"، إذ لا بد من أن نعود إلى حياة النبي ﷺ وتعامله مع السلف الصالح، لنتعلم منع الدروس والعبر.

المنهج "الاستدلالي الاستقرائي"، حيث سنتعرف على أدلة صون الموارد من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

المنهج "التحليلي التفسيري"، لفك مصطلحات ومعاني بعض الكلمات الواردة في البحث.

إذا ما تأملنا قضية البيئة وجدنا أن الإسلام قد وضع الإطار العام لمسألة حماية ورعاية البيئة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[6]، وغيرهما من الآيات التي يندرج في توجيهاتها الإرشاد إلى العناية والحماية والرعاية للبيئة المحيطة بالإنسان من أجل خير البشر، فقضية حماية البيئة ورعايتها وما تضمنتها من أبعاد متشعبة، تجعل منها مشكلة خطيرة، حتى إنها ارتقت إلى المستوى الذي طرحت نفسها في -العقدين الأخيرين- كواحدة من أخطر القضايا في كافة المحافل العلمية والثقافية لعظيم

[5]- القرآن، 7: 85.

[6]- القرآن، 2: 60.

انعكاساتها على مختلف النواحي الحياتية والاجتماعية، بل وعلى استمرارية الحياة، فقضية الحفاظ على البيئة ومواردها تعد من أهم الجزئيات التي ترتبط بالحياة على الأرض وديمومتها.فالإنسان مستخلف فيها وليس مالكًا لها ملكًا حقيقيًا، حتى يدعوه ذلك إلى التصرف فيها وبمواردها على هواه اعتداءً أو إسرافًا. ومعلوم أننا نستهلك هذه الموارد الطبيعية في الحياة اليومية بصورة مباشرة أو غير مباشرة؛ حتى إنها تُعدُّ أساس قدرتنا على الحياة والتطور والازدهار.

من الدراسات السابقة: على قاعدة البيانات العربية الرقمية معرفة بحث بعنوان "التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة في ظل استعمال الطاقات البديلة، تأليف الشاذلي زيبار وآيت عيسى رابح نشر في مجلة الدراسات التجارية والاقتصادية المعاصرة ، بتاريخ 30-04-2020 في الجزائر يرى ضرورة إتباع أنماط بديلة للتنمية لتحقيق ما يسمى بالتنمية المستدامة.

وبحث بعنوان "إدارة الموارد الطبيعية في ضوء استدامة البيئة والأهداف الإنمائية" صدر في حزيران 2012 واعتمد على المنهج الوصفي التحليلي للعديد من الدراسات والبحث والأدبيات التي تناولت بشكل مباشر أو غير مباشر موضوعات ذات علاقة بالاستدامة البيئية حيث تم مراجعتها وتحليلها.

وعلى موقع نجاح "مبدأ السيادة الدائمة على الموارد الطبيعية تداعيات قرار محكمة العدل" هدفت الدراسة إلى توضيح القانون الدولي للسيادة الدائمة على الموارد الطبيعية ودور محكمة العدل في النظر بشكوى دولة فلسطين ضد قيام إسرائيل باستغلال الموارد الطبيعية الفلسطينية.

والخلاصة أن عناية السنة النبوية الطاهرة بهذه المسألة واضحة فهي صاحبة السبق في الإشارة إليها، والاهتمام بجميع جوانبها مما يؤكد احتواءها وملائمتها لجميع القضايا التي ترتبط بحياة المجتمعات الإنسانية ومتطلباتها الحياتية، بما يضمن ازدهارها ورقيها.فما المقصود بالموارد؟ والموارد الطبيعية؟

مطلب أول: تعريف الموارد الطبيعية

يرتبط مصطلح الموارد (Resources) في أصله بتجدد الحياة، بمعنى أنه صورة للنبع المتدفق في الأرض، والموارد: المناهل[17]، وفي تعريف الموارد الطبيعية (Natural resources) نقول: هي مصادر الموادّ الخام التي تتوفر في الأنظمة البيئية على الأرض، وتحدث من دون أي تدخلات بشرية كالخامات والمناجم، وتُستخدم هذه الموارد بعد تعديلها بهدف الاستفادة منها في حياتنا اليومية، وتُصنَّف الموارد الطبيعية من حيث مصدرها إلى نوعين:

7- محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط:1، بدون السنة)، 3: 456.

مصادر حيوية (biotic resources) وهي الموارد الطبيعية التي تنشأ من الكائنات الحية أو المواد العضوية، مثل: النباتات، والحيوانات، وأنواع الوقود الأحفوري.

مصادر غير حيوية(abiotic resources) وهي الموارد الطبيعية التي تنشأ من العناصر غير الحية وغير العضوية، مثل: الهواء، وأشعة الشمس، والمعادن المختلفة.

هذا تقسيم الموارد من حيث المصدر، أما من حيث تجددها فهي أيضا نوعان:

موارد طبيعية غير متجددة (unrenewable resources): وهي موارد معرضة للنفاد بتزايد الاستغلال البشري والضغط السكاني ويصعُب استردادها لأنَّ تكوينها يستغرق سنين متطاولة (المعادن مثل اليورانيوم، مصادر الطاقة الاحفورية ...).

موارد طبيعية متجددة (renewable resources): موارد يعاد إنتاجها بكيفية طبيعية على أساس أن يكون استغلالها في حدود وتيرة تجددها (أشعة الشمس، والرياح، الموارد المائية، النباتات، الثروة الحيوانية...).

وبعد تعريف الموارد الطبيعية في مدخل البحث سنتكلم عن معنى البيئة الطبيعية.

مطلب ثانٍ: البيئة الطبيعية

تمثل الموارد التي خلقها المولى عزّ وجلّ وسخرها للإنسان كي توفر له مقومات حياته - كالغذاء والكساء والدواء والمأوى- البيئة الحاضنة للإنسان، وبينهما علاقة تبادلية وثيقة، فعليه الحفاظ عليها لتحافظ عليه؛ فالبيئة تعني المحيط المادي الذي يعيش فيه الإنسان بما يشتمل عليه من ماء وهواء وفضاء وتربة وكائنات حية ومنشآت أقامها لتأمين حاجاته، وعلى الإنسان دراسة موارد بيئته بإحصائها وتصنيفها للاستفادة منها ومعالجة سوء الاستعمال أو الاستنزاف أو الإهمال الذي قد يحصل لها ، ومن الممكن تقسيم البيئة المحيطة بالإنسان الى بيئة مائية، وبرية، ونباتية، وحيوانية، وجوية. هي:

البيئة المائية: الينابيع، والأنهار، والبحار، والمحيطات، ومختلف أنواع المسطحات المائية.

البيئة البرية: اليابسة، من سهول وهضاب وجبال وغيرها.

البيئة النباتية: وتشمل كل مظاهر الحياة النباتية كالغابات.

البيئة الحيوانية: وتشمل كل الكائنات الحية الحيوانية بشكل عام.

البيئة الجوية: ويراد بها الهواء أو الغلاف الجوي المحيط بالإنسان.

يُشكل التلوث البيئي (Environmental Pollution) خطرًا يؤثر في صحة البيئة، ويشمل تلوث الهواء والمياه والأرض، ويسبِّب التلوث البيئي تغيير الخواص الكيميائية التي تشكِّل عناصر التربة، والصخور، والمعادن، والمياه العذبة والجوفية، ومياه المحيطات، وغيرها من الموارد الطبيعية، فينجم عنها أضرار وآثار لها عواقب جسيمة على النبات والحيوان والإنسان، كما يرجع تقلص المجال الزراعي إلى انجراف التربة والتعرية وضغوطات التعمير. وقد حاربت السنة النبوية التلوث المضر بشتى أنواعه لأنه فساد حسي، كما وأنها حاربت الاعتداء على مظاهر البيئة على

اختلاف صوره، وهذا يشمل جميع مظاهر البيئة المحيطة بالإنسان، وأهمية القيم تبرز في قدرتها على تحقيق التكامل والاتزان في سلوك الإنسان وتربيته، والتوازن بين مصالحه الشخصية، ومصلحة المجتمع، وتقديم المصالح العامة على المصلحة الخاصة.

وبعد التعرف على أنواع البيئة، سأبدأ ببيان بعض مسؤوليات الفرد تجاه بيئته.

المبحث الأول: المستخلف مسؤول محاسب

الإنسان مستخلف في هذه الدنيا وليس مالكًا لها ملكًا حقيقيًا، حتى يدعوه ذلك إلى التصرف فيها وبمواردها على هواه اعتداءً أو إسرافًا. ومعلوم أننا نستهلك هذه الموارد الطبيعية في الحياة اليومية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، حتى إنها تُعدُّ أساس قدرتنا على الحياة والتطور والازدهار.

المطلب الأول: استخلاف وعمارة

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾[9]، ومما جاء في معنى "﴿مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾"، فيه دليل على أن أصل الملك لله سبحانه، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة ﴿مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾ بوراثتكم إياه عمن كان قبلكم. وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تُزال عنكم إلى من بعدكم[10]. بعبارة أخرى جعلكم مستخلفين، أي: جعلكم خلائف فيها؛ يخلُف بعضُكم بعضًا، ويرث بعضكم بعضًا. وفي كل ذلك إقرار بأن الموارد تنتقل كميراث بين الأجيال، ويدنا على أملاكنا يد أمانة، سرعان ما تنتقل منا إلى من بعدنا فيلتزم كل جيل عند الانتفاع من هذه الورثة أن يحرص على صيانتها لتكون نافعة للجيل الذي يليه، وقد قال عزّ من قائل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾[11]، ومعنى ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾، طلب منكم أن تعمروها، وعمارة الأرض تكون بالإحياء بالزراعة أو البناء والإصلاح، وبالجمع بين الاستخلاف والإعمار يتضح بقوة مفهوم توريث الأرض، من حيث إن كل الأجيال المتعاقبة مطالبة في كل زمان ومكان بإعمار الارض وتنميتها. ومن أهم الدلائل المؤكدة على تأصل مفهوم الاستدامة في الإسلام قول الحق سبحانه وتعالى:

---

[8]- **القرآن**، 2: 30.

[9]- **القرآن**، 57: 7.

[10]- محمد بن أحمد أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، **تفسير القرطبي** (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط:2، 1384هـ)، 17: 238.

[11]- **القرآن**، 11: 61.

﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[12].

وهذا من فضائل الإسلام؛ فالمؤمنين يحب بعضهم بعضًا لمجرد الأخوة في الإيمان التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض. ولا شك أن انتقال الحب والمنفعة إنما يتطلب أن يترك الجيل السابق للجيل اللاحق كل مقومات الخير.

والخلاصة أن الإنسان مستأمن وليس مالكًا حقيقيًا لما يملك.

المطلب الثاني: المسؤولية في الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[13]، فالمسلم المكلف مسؤول محاسب عن أفعاله وأقواله وما يعقد عليه قلبه وعن كل شيء له سلطان عليه أو مقدرة على التصرف فيه بأي وجه من الوجوه، قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[14]، وقال عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[15]، ولا شك أن الوازع الديني أقوى من أي دافع حسي أو معنوي آخر، وله الأثر البالغ على سلوكيات الفرد وأخلاقه، فالمسلم يتوجه بعمله الصالح في هذه الحياة الدنيا مريدًا مرضاة الله عز وجل لأنه أمره بذلك، فمرضاة الله هي الغاية التي يبتغيها كل مسلم بكل نشاط يؤديه، حيث الحث على القيام بمسؤوليات عديدة لتحقيق الخير والصلاح للجميع، سواء مسؤوليات الأفراد تجاه بعضهم البعض، أو الفرد تجاه الجماعة، أو الجماعة تجاه الفرد. وهذه المسؤوليات بعضها إجباري مثل الزكاة، وبعضها اختياري مثل الإيثار، كما تشتمل المسؤوليات على الجوانب الروحية إضافة إلى الجوانب المادية، فلا يسمح بالكلام المؤذي بل ولا حتى النظرة المؤذية كالنظر بالاستحقار للمسلم، فالمسؤولية لا تتوقف عند حد المساهمات المادية أو العينية، إنما تتعداه إلى غرس روح المحبة والأخُوة والرحمة والتكافل في المجتمع مما يؤكد أن سماحة الدين هي الملجأ الآمن، لهذا جاءت المسؤولية جماعية على الناس لحماية مظاهر البيئة بقوله ﷺ: "المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار"[16]، فحمايةُ

---

[12]- **القرآن**، 59: 10.

[13]- **القرآن**، 17: 26.

[14]- **القرآن**، 75: 26.

[15]- **القرآن**، 15: 92.

[16]- محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني المعروف بابن ماجه، **السنن** (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط:1، 1430هـ)، 3: 528.

قال ابن الملقن: عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ "ثلاث لا يمنعن الماء والكلأ والنار"، وهذا إسناد على شرط الشيخين، قال الضياء في «أحكامه»: إسناد جيد.=

هذا المشترك ورعايته واجب سلوكي على الناس فإن لك فيه شريكًا بل شركاء، فأظهر لنا الحديث الشريف أهمية المحافظة على الماء بعدم الإسراف والاستنزاف والهدر المتعمد مما يؤدي إلى الأضرار بها وبالتالي نفاذها فيسري الضرر إلى من يخلفنا، وكنموذج بارز جاء عن الأشعريين وهم قبيلة من اليمن في الحديث النبوي:

"إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرمَلُوا[17] فِي الغَزوِ أَو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِم بِالمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِندَهُم فِي ثَوبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقتَسَمُوهُ بَينَهُم فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُم مِنِّي وَأَنَا مِنهم"[18].

والخلاصة أن الإنسان عليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وأن لا يضر غيره ولا يضر نفسه.

المطلب الثالث: لا ضرر ولا ضرار في شرعنا الحكيم

كلما أبحرنا في بحار الشرع الزاخرة بالجواهر واللآلئ وتكلمنا بتعاليم الشرع الحنيف كلما زاد في قلوبنا العلم بعظمة هذا الشرع الحكيم، ولا تكفي وريقات قليلة لسرد روائع القيم الإسلامية بأمثلتها، لكنني سأُجمل الكلام على بعض الأسس والقيم والأخلاق الإسلامية التي التزمها هادينا ﷺ وحث عليها، مما يُظهر بوضوح الفرق الشاسع بين المجتمع الملتزم وغيره، فالمجتمع الملتزم أقوى على مقاومة الأزمة والخروج منها بسرعة وسلاسة بأقل الخسائر، لذا فإن الأزمة الحقيقية تبدأ بفقد القيم وتنسحب أزمات متنوعة أمنية واقتصادية واجتماعية وصحية ونفسية.

إن الاهتمام بالبيئة وسلامتها لم يقتصر على التوجيه من خلال أصول الشريعة الإسلامية وإنما أخذ مظهرًا آخر هو اهتمام فقهاء الإسلام بهذه الناحية عن طريق وضع القواعد والضوابط التي تنظم تعامل الإنسان مع هذه البيئة وبيان المسالك الصحيحة لاستغلالها بما يؤمّن احتياجاته من غير الإضرار بها وتخريبها وتشويهها وإيقافها عن العطاء واختفاء ملامحها وغيرها من صور الضرر التي نهى الإسلام عنها ، ومن القواعد الفقهية التي يتفرع منها حماية ورعاية البيئة "الضرر لا يزال بالضرر"، وهي قاعدة متفرعة من قول النبي ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار من ضار ضارّه الله ومن شاقّ شاقّه

=عمر بن علي أبو حفص المعروف بابن الملقن، **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير** (الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط:1، 1425ه)، 7: 76.

[17]- أرملوا: أي نفد زادهم.

ينظر: أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** (بيروت: دار المعرفة، ط:1، 1379ه)، 1: 125.

[18]- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، **الجامع الصحيح** (بيروت: دار طوق النجاة، ط:1، 1422ه)، 3: 138.

الله"[19]، وغيرها من القواعد الفقهية المعتبرة التي تعبر عن روح الشريعة الإسلامية وسعتها في استحصال الفوائد والقواعد والضوابط الكفيلة، للحفاظ على مظاهر البيئة ومواردها الطبيعية بما يضمن سلامتها وإدامتها ورقيها وازدهارها بما يلبي حاجة المستأمن عليها.

والخلاصة أن الإنسان لا يجوز له أن يضر غيره ولا يضر نفسه.

المطلب الرابع: النهج النبوي في بيان أهمية الموارد المتجددة

لم يغب مفهوم الموارد المتجددة عن النهج النبوي فوجدناه في الصدقة الجارية والوقف، فقد جاء في الحديث النبوي عن سعد بن عبادة أنه قال:

> "يا رسولَ اللَّهِ إنَّ أم سعد ماتت فأيُّ الصَّدقة أفضل؟ قال ﷺ: «الماء»، قال فحفر بئرًا وقال: هذه لأم سعد"[20].

وفي هذا الحديث نجد أن الرسول ﷺ حث إثر موت شخص على إنشاء ما فيه بقاء للحياة واستمراريتها؛ فالبئر لن يستفيد منه الميت دنيويًا وإنما أخرويًا، ولكن في الدنيا سيقدم هذا البئر الماء لجيل زمانه، وسيستمر في منحها للأجيال التالية.

أما نظام الوقف الذي يعتبر آلية من آليات تحقيق التنمية المستدامة، والأصل فيه خبر مسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"، وفي الصحيحين: "أن عمر رضي الله عنه أصاب أرضًا بخيبر فقال له النبي ﷺ: "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها"، فتصدق بها عمر على أن لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث" وهو أول وقف في الإسلام[21] في عهد الرسول ﷺ فالأوقاف ذات طابع بيئي مستدام. وقيل كان رسول الله ﷺ أول من أنشأ وقفًا، وهو الحوائط السبعة، التي أوصى بها مخيريق اليهودي لرسول الله ﷺ بأن يضعها حيث يشاء، فجعلها ﷺ صدقة في سبيل الله[22]، فلا شك أن وقف هذه البساتين للفقراء

19- محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع، **المستدرك على الصحيحين** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1411ه)، 2: 66. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه"،

20- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، **سنن أبي داود** (بيروت: المكتبة العصرية، بدون السنة)، 3: 109.

21- البخاري، **الجامع الصحيح**، 3: 198؛ مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1255.

22- قال ابن حجر العسقلاني: "أول صدقة أي موقوفة كانت في الإسلام صدقة عمر وروى عمر بن شبة عن عمرو بن سعد بن معاذ قال سألنا عن أول حبس في الإسلام فقال المهاجرون صدقة عمر وقال الأنصار صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي إسناده الواقدي وفي مغازي الواقدي أن أول صدقة موقوفة كانت في الإسلام أراضي مخيريق -بالمعجمة مصغر- التي أوصى بها إلى النبي ﷺ فوقفها ﷺ".
العسقلاني، **فتح الباري**، 5: 402. أحمد بن محمد المعروف بابن حجر الهيتمي، **تحفة المحتاج في شرح المنهاج** (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، دون طبعة، 1357ه)، 6: 236.

والمساكين يعني الاستمرار في الحفاظ على خصوبتها والاعتناء بأشجارها وثمارها ومقاومة أية أضرار تلحق بها، كما أن استدامة هذه البساتين يسهم في توفير الأمن الغذائي. وهناك قصة بئر رُومَةَ بالمدينة المنورة التي اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من صلب ماله، وتصدق بها على السابلة، كنتيجة لحث النبي ﷺ على ذلك ومثل هذا النوع من الوقف لا يخفى دوره في توفير الأمن المائي والغذائي.

والخلاصة أن الصدقة الجارية والوقف لهما طابع الاستثمار البيئي المستدام.

المبحث الثاني: ترشيد الاستهلاك نهج نبوي

توفر لنا الأرض كل ما نحتاج إليه لزراعة الأغذية وعيش حياة صحية، في شكل موارد طبيعية. وهذه الموارد هي الأراضي، والمياه، والحيوانات، والنباتات. ولا يمكننا الزراعة بدون المياه والتربة، وستكون مهمة زراعة ما يكفي من الأغذية الصحية أصعب بكثير إذا كانت المياه المتوفرة لدينا ملوثة، والتربة خالية من المعادن التي تجعلها خصبة. فإذا أردنا أن نكون قادرين على الاستمرار في زراعة ما يكفي من الأغذية الآمنة والمغذية لكل شخص يعيش على هذه الأرض فعلينا أن نحمي مواردنا الطبيعية. والاقتصاد أي علم إدارة الموارد هو درس تعلمناه من قصة يوسف عليه السلام والسنوات الخصبة التي تلتها السنوات العجاف وكيف كانت إدارته للموارد فحمى الناس من العوز والجوع. وهي صورة جلية من صور ترشيد استهلاك الموارد، قال الله تعالى إخبارًا عن يُوسُف عليه السلام:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[23].

فلو تأملنا الآيات التي فيها تأويل يُوسُف عليه السلام للرؤيا التي رآها ملك مصر في ذلك الحين؛ فسوف نقف على مفاهيم شديدة الأهمية في مجال علوم الاقتصاد، في مجال الزراعة وإدارة الموارد الزراعية، بما في ذلك سياسات التقشُّف في أوقات الشِّدَّة، وكيفية الاستعداد لها مسبقًا في أوقات الرخاء، إنها تعاليم نبوية ومبادئ تنطبق على شتى الموارد الطبيعية، مما ينظم إدارتها في أوقات الشدة والرخاء، وهاكم قطوفًا من رياحينها:

المطلب الأول: النهج الوارد في صون الموارد المائية

جعل الله الاقتصاد في تناول المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في أمور الدنيا نهجَ الصالحين وطريقَ الزهد والورع، وقد أنعم الله تعالى على العباد بما يحتاجونه وأمرهم بشكره تعالى

[23]- القرآن، 12: 47، 48، 49.

بعدم استعمال هذه النعم في معصيته، وأرشدهم إلى مصالحهم في ترشيد استهلاك هذه الموارد ومنه:

النهي عن الإسراف: قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[24]، ونجد أيضا هذه المعاني في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[25].

وقد قال رسول الله ﷺ: "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"[26]، وقال ﷺ: "الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة"[27]. وقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه-أن رسول الله ﷺ قال: "من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له"[28]، فتشمل نواحي الاستهلاك كلها وليس فقط الأكل والشرب؛ فقد نهى حبيبنا محمد ﷺ عن الإسراف في استخدام الماء حتى عند الوضوء كما جاء في الحديث الشريف أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسَعد بن أبي وقاص وهُوَ يَتَوَضَّأُ فقال: ما هذا السَّرَفُ، فقال: أَفي الوضوء إسرافٌ؟ قال: "نعم وإن كنتَ على نهر جار"[29]، يضع هذا الحديث الشريف قاعدة أساسية في الحفاظ على استدامة الموارد المائية، وفيه إشارة على أهمية الحفاظ على الموارد الطبيعية وترشيد استخدامها حتى ولو كانت متوفرة بكميات كبيرة، ولا يخفى ما في هذا من بعد نظر واهتمام بالغير المحتاج للحصول على مثل ما حصل هو عليه، وبالطبع فإن الموارد كلما كانت شحيحة فهي أولى بالحفظ، حتى إن الفقهاء رتبوا أحكامًا على الإسراف في ماء الوضوء والغسل فقالوا أن من أسرفَ بماء الغسل والوضوءِ ليس لهُ ثوابٌ بالمرَّة، هذا عند من حرَّموا الإسراف بماء الوضوء، وعلى قول الآخرين الذين قالوا بالكراهة يقلُّ الثواب فمن أسرف بماء الوضوء ثم صلّى فأجره ناقصٌ،

---

[24]- **القرآن**، 7: 31.

[25]- **القرآن**، 6: 16.

[26]- الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، 4: 150. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

[27]- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، **مكارم الأخلاق** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1409ه)، 364.

[28]- مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1354.

[29]- أحمد بن محمد أبو عبد الله الشيباني المعروف بابن حنبل، **مسند أحمد بن حنبل** (بيروت: دار الرسالة، ط:1، 1421ه)، 11: 637.

وفي الزوائد إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة وحيي بن عبد الله.

ابن ماجة، **السنن**، 1: 147.

له أجرٌ قليل بكل صلاةٍ صلَّاها بهذا الوضوء. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "إن النبي ﷺ كان يغتسل بالصاع، ويتوضأ بالمد"[30]. وعنها رضي الله عنها: "أنها كانت تغتسل هي والنبي في إناء واحد يسع ثلاثة أمداد، أو قريبًا من ذلك"[31].

النهي عن التبوُّل في الماء: قال رسول الله ﷺ: "لا يبولَّن أحدُكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه"[32]، متفق عليه. وقال ﷺ: "لا يبولَّن أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه..."[33].

النهي عن قضاء الحاجة في الموارد ومواضع مرور الناس وتحت الشجرة المثمرة: قال النبي ﷺ: "اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل..."[34]. إن الناظر في هذين الحديثين النبويين الشريفين وغيرهما يجدهما بمثابة وثيقة ضمّت عدة قوانين وتوجيهات من رؤوف رحيم ﷺ، وبرنامج وقائي وعملي تطبيقي لأمته ﷺ في كيفية المحافظة على البيئة المائية وحمايتها ورعايتها باعتبارها العنصر الرئيس الذي قامت به الحياة على سطح الأرض، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[35]، فقد جاءت تعاليمه ﷺ ناهيةً أن يُبال في الماء الراكد والماء الجاري والمغتسل، فإلى جانب كونه أساس الحياة فإنه ينبّه ﷺ إلى التأثير الخطير على البيئة وعلى صحة الإنسان كونه يعيش فيها، وذلك لأن البول والبراز يؤديان إلى نجاسة المياه القليلة وعدم طهارتها وتلويثها، مما يؤدي إلى عدم الاستفادة منها، وهذا من صور الهدر والاستنزاف لها؛ ولا يخفى أن هذه السلوكيات تجعل البيئة المائية بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفايروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية كما أنها تصبح غير صالحة للاستعمال البشري بفعل النجاسات التي فيها، وهذا يشمل جميع المواد الضارّة التي تُلقى في المياه كرمي النفايات والمواد السامة والمواد الجرثومية من خلال ضخ هذه المواد الملوثة في المياه الناتجة عن الصناعات المختلفة.

بالخلاصة نرى أن السنة النبوية أمرت بصون الموارد المائية التي هي عصب الحياة وترشيد استهلاكها، فماذا عن الثروة الحيوانية؟

30- رواه أبو داود، **سنن أبي داود**، 1: 23.
ورواه الترمذي عن سفينة، وقال حديث حسن صحيح.
محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، **سنن الترمذي** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1998م)، 1: 111.

31- مسلم، **الجامع الصحيح**، 1: 256.

32- البخاري، **الجامع الصحيح**، 1: 57؛ مسلم، **الجامع الصحيح**، 1: 235.

33- أبو داود، **سنن أبي داود**، 1: 7.

34- ابن ماجه، **السنن**، 1: 218. أبو داود، **سنن أبي داود**، 1: 7.

35- **القرآن**، 21: 30.

المطلب الثاني: النهج الوارد في صون الموارد الحيوانية

إن البيئة الحيوانية هي إحدى أنواع البيئة الطبيعية المسخّرة للبشر باعتبارها من المتطلبات الضرورية والموارد الطبيعية التي تساهم إسهاما فعّالًا في تأمين الغذاء بل والأمن الغذائي للإنسان، لهذا لم تكن البيئة الحيوانية بعيدة عن منظور السنة الطاهرة وعنايتها وإرشاداتها الراقية في التعامل مع البهيمة لما لها من أهمية بارزة في عملية تنمية وإدامة العملية الحياتية للمجتمعات الإنسانية على مر العصور، ومن هذه القطوف:

قول النبي ﷺ لمضيفه الأنصاري الذي أراد إكرامه بذبح شاة: "إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ"[36]، أي نهى نبي الرحمة ﷺ مُضيفه أن يذبح شاة ينتفع بدرّها ولبنها، وهنا نجد الحرص على استمرارية الانتفاع من لبن الحلوب بأكبر قدر ممكن، وتغليبه على المنفعة الآنية بلحمها.

قول النبي ﷺ: "ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عزّ وجلّ عنها يوم القيامة"، قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال: "حقها أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمي به"[37]. وقال ﷺ: "من قتل عصفورًا عبثًا عجّ[38] الى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني لمنفعة"[39].

وقد حثّ النبي على الإحسان إلى البهيمة والشفقة عليها وأكّد على منع الاعتداء على الحيوانات وتعذيبها وحماية حقوقها حسيًا ومعنويًا وبيّن أن هذا مما يكون مدعاة لعذاب الله ودخول ناره، ولا يخفى نفع هذه الحيوانات في حماية البيئة أو كمورد حيواني مسخر للبشر مساهم في انتظام الدورة الغذائية بدليل:

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

> "بينا رجل بطريق، اشتدّ عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له"، قالوا: يا رسول الله: وإنّ لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال: "في كل ذات كبد رطبة أجرٌ"[40].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بينما كلب يطيف بركيه، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته، فغفر لها به"[41].

36- مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1609.

37- الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، 4: 261. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

38- العج: رفع الصوت.

39- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، **السنن الصغرى= المجتبى من السنن** (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط:2، 1406هـ)، 7: 239.

40- البخاري، **الجامع الصحيح**، 3: 132.

41- المرجع السابق، 4: 173.

ما روي عن جابر رضي الله عنه من أن النبي ﷺ، مَّر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال: "لعن الله الذي وسمه"[42].

ما روي أن النبي ﷺ، قد رأى قرية نمل حُرقت فقال: "من حرق هذه؟" قلنا: نحن حرقناها، قال: "إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"[43].

رأى النبي ﷺ جملًا فحنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ، فمسح ذفريه فسكت فقال: "من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟" فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: "أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تُجيعه وتُدئبه"[44].

عن سهل بن الحنظلية قال: مَّر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهرُه ببطنهِ، فقال: "اتقوا الله في هذه البهائم المُعجَمَة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة"[45].

عن عبد اللَّه بن عُمر رضي اللَّهُ عنهما: أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: "عُذِّبَت امرأةٌ في هرَّةٍ حبستها حتَّى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النَّار" قال: فقال: واللَّهُ أعلم: "لا أَنتِ أَطعَمتِهَا ولا سَقَيتِهَا حِينَ حبستِهَا، ولا أنتِ أرسَلتِهَا، فأَكَلَت مِن خَشَاشِ الأَرضِ"[46].

ما روي عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلةَ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليُرح ذبيحته"[47].

ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجتهِ فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فلما جاء رسول الله ﷺ، قال: "من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها"[48].

مما لا شك فيه أن هذه النصوص الشريفة قد أزالت اللثام بصورة جلية عن الأهمية الكبيرة التي أولتها السنة الطاهرة لحماية ورعاية البيئة الحيوانية لما لها من أثر فاعل في حفظ التوازن البيئي إذ إن التنوع الحيوي يوفر القاعدة الأساسية للحياة على الأرض، كما تعد هذه الثروة مصدرًا رئيسًا لتزويد الإنسان بالغذاء، وكذلك المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات، لذا حث النبي ﷺ على المحافظة على الحيوانات من خلال الترغيب في الرأفة والرحمة بها مما يكون بابًا لدخول الجنة والترهيب من مغبة الاعتداء على الحيوانات الذي قد يكون حسيًا كالوسم أو المُثلة

42- مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1673.

43- أبو داود، **سنن أبي داود**، 3: 55. والحديث صحيح.

44- المرجع السابق، 3: 23. الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، 2: 109.

45- أبو داود، **سنن أبي داود**، 3: 23.

46- البخاري، **الجامع الصحيح**، 3: 112.

47- مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1548.

48- أبو داود، **سنن أبي داود**، 3: 55.

به وتقطيعه وهو حي أو إحراقه أو معنويًا كما هو ظاهر في حديث "الحمّرة" -وهي نوع من أنواع الطيور- فأمر النبي ﷺ بعدم إخافتها ووضع حدٍ لمعاناتها بردّ أفراخها عليها. بل وأكثر من هذا فقد نبّهت السنة الطاهرة على مسألة عدم تعذيب الحيوان وإراحته حتى عند الذبح لسد الحاجة والانتفاع وذلك بحدّ الشفرة عند الذبح لما سخر لنفع البشر وغذائهم، وما هذه إلا صورة مشرقة وهّاجة للحرص الشديد على حماية ورعاية هذا النوع من الموارد الموجودة في البيئة المحيطة بالإنسان.

والخلاصة نرى أن السنة النبوية أمرت بصون الموارد الحيوانية والرفق بالحيوان عامة، فماذا عن الثروة النباتية؟

المطلب الثالث: النهج الوارد في صون الموارد النباتية والبرية

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[49]، إن البيئة النباتية هي إحدى أهم ركائز البيئة المحيطة بالإنسان لما تلعبه من دور فاعل في حفظ التوازن البيئي من غازات، وكذلك سد حاجات البشرية بالمواد الأولية التي تضمن بقاءها واستمرارها، والغطاء النباتي هو أحد الموارد المهمة التي اعتنت السنة النبوية به ووضعت له الأسس الكفيلة بحمايته ورعايته بالتالي تنميته وديمومته، واعتبرت المحافظة والمداومة عليها شعبة من شعب الإيمان .ومنها:

ما روي من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون شعبة- فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق..."[50]، وقال ﷺ: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره فشكر الله له فغفر له ... "[51]، وما روي من طريق أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله علمني شيئًا أنتفع به. قال: "اعزل الأذى عن طريق المسلمين..."[52]. وقول النبي ﷺ: "عرضت عليّ أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن"[53].

قال ﷺ: "اتقوا اللّعانين"، قالوا: وما اللّعانان يا رسول الله؟ قال: "الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم"[54].

---

[49]- **القرآن**، 67: 15.

[50]- مسلم، **الجامع الصحيح**، 1: 63.

[51]- البخاري، **الجامع الصحيح**، 1: 132؛ مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1521.

[52]- مسلم، **الجامع الصحيح**، 4: 2021.

[53]- المرجع السابق، 1: 226.

[54]- المرجع السابق.

ما روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"[55].

ما روي عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليزرعها أخاه"[56].

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: "من أعمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق... "[57]، أي أحق بها. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من أحيا أرضًا ميتة فهي له"[58].

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"[59]. وقال النبي ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة"[60]. وروى أبو الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: "من غرس غرسًا لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له صدقة"[61].

ولا ننسى وصية الخلفاء من بعد النبي ﷺ، ومنها وصية الصديق أبي بكر رضي الله عنه لقادة جيشه بعدم تقطيع الشجر وتخريبه في الحرب، بقوله: "ولا تقذفوا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة..."[62].

إن هذه النصوص الشريفة أظهرت الأهمية الكبيرة التي أولتها السنة النبوية الطاهرة لقضية حماية البيئة ورعايتها، فهي شعبة من شعب الإيمان وعبادة ينال العبد بها رضا بارئه عز وجل والمخالفة فيها تكون مدعاةً للعن الفاعل ولغضب الله تعالى عليه وذلك لإضراره بالبيئة البرية بإلقاء النجاسات، فالتخلي في طريق المارة أو الظل من الأمور المخالفة للسلوكيات والأخلاقيات العامة التي دعت إليها السنة النبوية الطاهرة وحرصت الحرص الشديد على تنميتها في الشخصية المسلمة كونها إحدى الركائز المهمة التي تساهم في بناء المجتمع الصحي والحياة الراقية والمزدهرة له، هذه الأماكن هي أماكن يركن إليها المارة للراحة من مشقة السفر أو غيره وتلوثها يجعلها محط

55- محمد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد** (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط:1، 1409ه)، 168.

56- مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1176.

57- البخاري، **الجامع الصحيح**، 3: 106.

58- المرجع السابق.

59- المرجع السابق، 3: 103؛ مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1189.

60- مسلم، **الجامع الصحيح**، 3: 1188.

61- أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، 45: 198. وهو صحيح لغيره.

62- علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم المعروف بابن عساكر، **تاريخ دمشق** (بيروت: دار الفكر، دون طبعة، 1415ه)، 2: 50.

للأوبئة وموضع للأمراض وبالتالي مظهرًا من مظاهر تلوث وتسمم البيئة البرية فيكون جالبًا للعقاب واللعن من منظور السنة الطاهرة، أما أحاديث تحفيز الأفراد على إحياء الأرض الموات فهي متناغمة مع رغبة الإنسان للاستقرار والتملك فأقرت بملكية الأرض لمن يحييها ولا يخفى ما في ذلك من دور في تحريك الهمة والاستفادة من الموارد وتقوية النشاط في توسيع واستمرارية دائرة الإحياء والعمران للأرض، وحثّ النبي على الغرس وغرَس بيده في بستان سلمان الفارسي، حتى إذا عجز فرد عن زراعة أرضه لا يتركها خارج إطار عملية التنمية وإنما يستعين بفرد آخر ممن هو قادر على الزراعة منعًا لهدر الموارد ورغبة في الاستمرار في إنتاج ما ينفع الناس ويؤمن ديمومة الغطاء النباتي حتى نرى التحريض من النبي ﷺ على الغرس والزرع إلى آخر رمق في حياة الإنسان بنيّة حسنة وهذا يرشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من طبيعة منتجة وخيرة، وبيّن الأجر العظيم الذي أعده المولى عزّ وجلّ لصاحب الزرع إذا أكل منه آدمي أو بهيمة أو دابة أو طير وحتى إذا سرق منه فهو لصاحبه صدقة، فهذه العناية والحماية والرعاية هي وصية رسول الله ﷺ بهذه "البيئة" وهي وصية خلفائه من بعده لجيوشهم، الأمر الذي يدل على عظمة الإسلام وسموه ورقيه على التشريعات الأخرى في حماية البيئة والطبيعة والنبات.

والخلاصة نرى أن السنة النبوية أمرت بصون الموارد النباتية وشجعت على الغرس وإحياء الأراضي، فماذا عن البيئة الجوية؟

المطلب الرابع: النهج الوارد في صون الهواء والبيئة الجوية

حثت السنة النبوية الطاهرة على عدم تلويث البيئة الجوية بمواد ضارة أو سامّة تضر بالهواء حتى الروائح الكريهة التي تُزعج من حوله وتلوث الهواء المحيط بالفرد، فمن أكل الثوم أو البصل كُره له دخول المسجد وكان له عذر في ترك الجمعة صيانة للأماكن العامة. وهذا بمفهومه الأوسع هو الحجر الهادف إلى حماية الفرد والمجتمع متجردًا عن الوسوسة والتطير، فمع اعتقادنا أن الداء يكون بخلق الله تعالى وأن المرض لا ينتقل بطبعه بل بتقدير الله ومشيئته وخلقه فهذا لا يتنافى مع التحرز والحجر منعًا لانتشار الوباء لكون الهواء هو أحد الطرق المهمة لانتشار العدوى الحاملة للأمراض أو غيرها من صور التلوث، وقد اهتمت السنة الشريفة بحماية ورعاية البيئة الجوية والحفاظ عليها بدليل:

قال رسول الله ﷺ: "الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو -على من كان قبلكم- فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدَموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه"[63]،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يوردَنّ مُمرض على مُصح"[64].

---

[63]- البخاري، **الجامع الصحيح**، 4: 175.

[64]- المرجع السابق، 7: 138.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "من أكل من هذه الشجرة-يعني الثوم- فلا يقربنّ مسجدنا، ولا يؤذينا بريح الثوم"[65].

فنحن مطالبون بالحفاظ على البيئة وعدم جعلها وسطا ملوثًا بالأمراض الوبائية ويقاس على الروائح الغازات الضارة الكبريتية الناتجة عن محطات معالجة المياه الثقيلة ومياه المجاري ومحطات توليد الطاقة ومصانع الفحم والأسمدة ومعامل تكرير النفط والصناعات البتروكيمياوية وغيرها من الغازات الضارة ليس بالإنسان فقط بل بالعناصر المؤلفة للبيئة الجوية وهو الأوكسجين وكذلك غاز الأوزون الذي تتكون منه الطبقة المحيطة بالأرض والتي تمنع من دخول الأشعة السامة القادمة من الفضاء الى غلاف الأرض، فمن المعلوم أن نسبة الأوزون في الغلاف الغازي إذا زادت ارتفعت معها مشاكل الإنسان المتمثلة بالأمراض الناتجة عن هذه الزيادة مثل التهاب العيون والرئتين وغيرها من الأمراض، كما أن انخفاض نسبته في الجو ينتج عنه مشاكل أخطر من الأولى كسرطان الجلد الناتج عن الأشعة فوق البنفسجية التي يمتصها الجلد، ثم إن انخفاض نسبة الأوزون أو ازديادها تتأثر بالدرجة الأولى بالغازات السامة كالأكاسيد النيتروجينية الناتجة عن التفجيرات النووية واستخدام المواد الكيماوية والأسمدة التي تتفاعل مع أشعة الشمس وغيرها من الملوثات التي يلقي بها الإنسان إلى الغلاف الخارجي مما يسبب تدميره وتلويثه.

والخلاصة نرى أن السنة النبوية أمرت بصون الهواء من التلوث.

المبحث الثالث: إطلالة على و اقع استنزاف الموارد والحلول

رافقت الأزمات تاريخ البشرية من آلاف السنين، وقد عايشت البلاد عامة أزمات مختلفة متنوعة لا تكاد تنطفئ الواحدة حتى تندلع الأخرى، وتسري من بلد إلى بلد من غير أن تتقيد بزمان ولا بمكان، فكم من حرب شُنت للسيطرة على الموارد حين تنضب من مكان وتلمع راياتها في مكان آخر، وكم من عين حاسدة سهرت للمكر بأهل البلاد الخصبة الخضراء، وحاكت المكائد في الغرف السوداء لقضم الموارد واحتكار منافعها، فما هي الأسباب والتبعات وسبل العلاج؟

المطلب الأول: أسباب وتبعات استنزاف الموارد

توفِّر الموارد الطبيعية معظم ثروات الدول المختلفة، وتشكِّل مصادر دخل للعديد من الدول بسبب ارتفاع قيمة هذه الموارد وزيادة الطلب عليها فتساعد في تحسين مستوى المعيشة للفقراء، وخاصة في المناطق الريفية حيث يعتمد الناس على هذه الموارد في تأمين احتياجاتهم من مسكن وغذاء. مؤخرًا شهد العالم موجات كبيرة من العدوان على الأراضي الزراعية والغابات؛ مما أدى إلى تصحُّر ونحت التربة، بجانب الاستغلال السيئ للأراضي، وما يترتب على الثورة العمرانية من زيادة مياه الصرف الصحي وإفساد التربة عند البناء على الأرض الزراعية، وما أحدثه التلوث الهائل

[65]- أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، 7: 358.

من تدمير للبيئة، وتلويث للأنهار والبحار؛ وبالتالي النتيجة ستكون احتدام الصراع والتنافس حول امتلاك الموارد مما يؤدي إلى مزيد استنزاف لها، وخاصة حينما يحدث هذا في إطار يعتبره البعض فرصة للاستمتاع وتحقيق الرغبات، فالسبب الحقيقي لما آلت إليه البيئة من وضع متدهور ناتج عن اغترار الإنسان بأنه المالك لما حوله فسعى إلى استهلاكٍ نَهِمٍ بلا تفكير، لكن المسلم يدرك أنه لا يملك ملكًا حقيقيًا بل ملكه للأشياء ملكًا مجازيًا، ويدرك أن المالك الحقيقي هو الله وحده، وأن البيئة وديعة استخلفه الله فيها؛ ليقوم بحقها وينتفع بها انتفاعًا مسؤولًا.

وقد حَفِل تاريخ البشرية في غالب الأزمان والعصور ومعظم البلاد والوهاد بالأزمات المتنوعة من حروب وغيرها مما يضيق الموضع بذكرها فمن مئات السنين يكاد لا يمر وقت إلا وفي المعمورة انتشار وباء في مكان وانحسار غذاء عن مكان وكوارث طبيعية متنقلة يليها كوارث صحية واجتماعية وبشرية، وعلى أثرها دومًا تواجه الموارد الطبيعية مخاطر تستنزفها وتهدِّد وجودها، وفيما يلي أبرز هذه المخاطر:

الاكتظاظ السكاني وخاصة مع الحروب والتهجير والنزوح والتمركز في بقعة جغرافية يعتبرونها آمنة مما يُشكل تهديدًا رئيسًا يواجه الموارد الطبيعية، إذ تسبب الزيادة السكانية ارتفاعًا بمعدلات الطلب على استهلاك الموارد الطبيعية وبالتالي الضغط على كافة أنواعها، زيادة الطلب على المياه والطاقة وذلك من خلال استخدام الأراضي بهدف توفير المأوى والغذاء للأعداد المتزايدة من السكان، وبالتالي سيتم زراعة الأراضي واستخدام الكيماويات بهدف تسريع عملية إنتاج الغذاء، وبناء المساكن من خلال تحويل أراضي الغابات إلى مستوطنات.

تزايد الطلب على استهلاك الأخشاب من الغابات بمعدل لا يتناسب مع معدل تعافي نموِّ الغابات وتغطية الطلب عليها.

تعرُّض قطاع الأسماك والمياه العذبة للضرر نتيجة ازدياد معدلات الصيد بهدف تغطية الطلب المتزايد عليها، واستخدام طرق الصيد الخاطئة مما يؤدي إلى تهديد حياة الكائنات البحرية.

تزايد الطلب على استخدام المواد الخام والموارد الطبيعية من خلال العمليات الصناعية؛ بهدف توفير متطلبات الحياة المريحة من وسائل النقل والاتصالات والتعليم والترفيه.

تغيّر البيئة الجوية بالتلوث الذي يحصل نتيجة الإفراط في الأنشطة البشرية الخاطئة، والتي بدورها تسبِّب الضرر للموارد الطبيعية الحيوية وغير الحيوية.

بالإضافة إلى آثار التنمية الاقتصادية ومن أبرز هذه التحديات: مياه الآبار الملوثة، مخلفات مصانع الإسمنت، زيادة انبعاث ثاني أكسيد الكبريت وأكسيد النيتروجين، والحل تغيير في سلوكيات الفرد والتخطيط؛ فمثلًا بدلًا من قطع الغابات من أجل الاستفادة من أخشابها يتم القطع الممنهج الموازي لغرس أشجار أخرى، وبدلًا من استنزاف الأسماك في البحار ينظم الصيد ويُراعَى فترات وضع البيض للأسماك.

أما تبعات فقد الموارد فهي أحيانًا تكون كارثية، وعمومًا تنعكس وفرة الموارد قوة وثباتًا على الفرد والمجتمع والوطن، مع كونها من أكبر أسباب تزايد المطامع والمكائد من الحكومات الكبرى المتعالية، لذا تأثر البلاد بمواردها كبير وتختلف أنواع الأزمات وما يترتب عليها على اختلاف ما فيها من موارد وعمق وعي الشعوب للتنمية المستدامة لها، فمنها:

أمنية تتمثل بحروب وانتهاكات للسيطرة على الموارد وجبر العجز عند البلاد المعتدية أو بهدف التنعم والتمتع بالخيرات الوافرة واستعباد الشعوب، وتداعياتها كارثية على المجتمعات من تقتيل واغتصاب أرض واحتلال قرى وتهجير، وما يورث هذا في نفوس البشر من كره وكبت لرزوحها تحت الظلم، أو وحشية واستشراس لاسترجاع الحقوق الضائعة واسترجاع المسلوب. مع أن الحروب في زماننا غالبًا لا تلبس لباس نصرة حقّ بل هي مظهرٌ من مظاهر البغي والظلم والتعدي والطمع.

ومنها اقتصادية تتمثل بجفاف في الاقتصاد وانهيار العملات وارتفاع الأسعار وانتشار الفقر، وما يترافق معه من أزماتٍ اجتماعية حادة حيث تزداد الحاجة والتسول، ويخف التواصل بين أعضاء المجتمع إذ تصبح الفروقات الطبقية عميقة، بل ويكاد يختفي التعاطي بين أفراد الطبقة الواحدة بسبب قلة المال والغرق في الهموم المعيشية اليومية.

كما يتأثر المجتمع القليل الموارد تأثرًا بالغًا بهجرة الأدمغة والكفاءات بحثًا عن لقمة العيش الحلال وأحيانًا بحثًا عن رغد العيش، فيختل النظام الديموغرافي للمجتمع ويشيخ، وتنعدم الحلول التغييرية لانعدام عنصر الشباب -أو تغييبه وتهميشه- فلا يثمر ولا ينتج، حتى يصل المجتمع إلى الحضيض، فتنعدم ثمراته وتجف ينابيعه.

والخلاصة أنه لا ينبغي إهمال أي سبب من هذه أسباب وإن بدت بسيطة فإن تضافرها يعقد الأزمة ويجعلها متشابكة.

المطلب الثاني: النهج الوارد في حسن إدارة الموارد

المشكلة تتفاقم عندما تكون الرؤيا ضيقة أنانية فيرى الواحد حاجاته وكأنها أقصى الأهداف والأماني لكنها تتقلص كلما كانت الرؤيا أوسع فيعي أنه حلقة من سلسلة طويلة أهدافها وحاجاتها وأمانيها متناغمة متقاطعة، ويبقى الحل في اتباع النهج الوارد عن قدوتنا محمد ﷺ في حرصه على الموارد واقتصاده في استعمالها وهو الذي بيّن لنا كراهة الإسراف في ماء الوضوء والغسل وما يترتب عليه من كراهة في الصلاة ونقصان في الثواب، وما هذا إلا ردع وتعليم لنا منه لأهمية هذا المورد الذي خلق منه كل شيء قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[66]، بل وجعل الناس شركاء فيه لردعهم عن حجب الانتفاع به عن غيرهم فقال رسول الله ﷺ: "المسلمون شركاء في

[66]- القرآن، 21: 30.

ثلاث الماء والكلأ والنار"[67]، وحرّم على المسلم تحجير المباح كأن يمنع الناس من الشرب من المستخلف أي الينابيع أو يمنعه من رعي مواشيه من الكلأ أي المرعى الذي لا مالك له. كما نبّهنا إلى حسن الإدارة للموارد عبر بيان أهمية التخطيط وتأهيل العمال وإكسابهم الخبرات فجعل فكاك أسرى بدر مقابل تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وذلك بدل الفداء بالمال مع شدة حاجتهم للمال، ويظهر فيما روي عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب يهود، فلم يمر بي نصف شهر حتى حذقته[68]. وهذا يظهر أهمية التأهيل واكتساب الخبرة كما نتعلم منه ﷺ المتابعة والتقييم وهذا يبدو جليًا في المنهج النبوي من خلال التطبيقات العملية في سيرته ﷺ ومن الأمثلة على ذلك حديث ابن اللتبية، حيث استعمل الرسول ﷺ رجلًا على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه، وفي تفصيل الرواية أن الرسول ﷺ استعمله، فلما قدم قال للنبي ﷺ: "هذا لكم وهذا أُهدي لي". فقال ﷺ: "هلّا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر يُهدى له أم لا، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر"، ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه، وقال: "اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت"[69] ثلاثًا، وفي هذا جواز محاسبة المؤتمن، وأن المحاسبة لا تعني التخوين، وتوبيخ المخطئ، وكذا بيّن لنا ﷺ اختيار الأمين للقيادة، لذا يشترط في المسؤول والموظف أن يتصف بالقوة والأمانة ولا يمكن فصلهما، فإن تحصلت القوة دون الأمانة كان البطش وأكل الأموال الناس بالباطل، وإن وجدت الأمانة وسلبت القوة ضاع الحق، وقد امتدح الله سبحانه أهل الأمانة حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[70] وقد ورد في الحديث: "فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة"، قيل: كيف إضاعتها قال: "إذا وُسِد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة"[71]. وكان ﷺ يُراعي الخبرات والتخصص في الشخص، ومن الشواهد على هذا قوله ﷺ: "أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أمينًا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"[72]، فإذا اختلفوا في فريضة الميراث فالمقدّم رأي زيد بالرغم من أن في الصحابة من هم أفضل، لكنه مختص بذلك، وكذلك لو اختلفوا في حلال أو حرام فرأي معاذ هو المرجع. فالخلاصة أن النبي ﷺ علّمنا أن من حسن إدارة الموارد حسن التخطيط ومراعاة التخصص والقوة والأمانة وتأهيل العمال عبر إكسابهم الخبرات ومراقبتهم ومحاسبتهم. ومعلوم أن الإسلام فيه القيم السامية التي تسمو بالبشر كالعدل والرحمة والأخوة

67- ابن ماجه، **السنن**، 3: 528.

68- الطبراني، **المعجم الكبير**، 5: 133.

69- البخاري، **الجامع الصحيح**، 3: 159؛ مسلم، **الجامع الصحيح**، 3:1463.

70- **القرآن**، 23: 8.

71- البخاري، **الجامع الصحيح**، 1: 21.

72- ابن ماجه، **السنن**، 1: 107.

وتكافؤ الفرص، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[73]، وقال ﷺ: "إياكم والظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة"[74]، ويستعين المؤمن على قهر نفسه والتعامل بالرحمة إذا تفكر بثواب الراحمين، فقد وعد النبي الراحمين برحمة الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ"[75]، فمع الأخوة والحب في الله والصبر تتلاشى الأنانية وتذبل، قال رسول الله ﷺ: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"[76].

وإن من روائع القيم الإسلامية الأخوة، فهي أقوى رابط بين المسلمين حتى إنها أقوى من رابط الدم، فقد قال رسول الله ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة"[77].

يظهر جليًا للمنصف أن المجتمعات الملتزمة مصانة بدرجة كبيرة من الأزمات، فالعاجز عن تأمين الضروريات من مأكل وملبس ومسكن، على الموسر أن يلتفت لحاجته عمومًا سواء كان قريبًا له أو غريبًا عنه، فقد قال رسول الله ﷺ قال: "من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له"[78]، وقال ﷺ: "الناس سواسية كأسنان المشط، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالعَافِيَةِ، والمرءُ كثيرٌ بأخيهِ، ولا خيرَ فِي صُحبةِ مَن لَا يَرَى لَكَ منَ الحقِّ مِثلَ ما تَرى له"[79]. ومن جميل الوصايا الهادفة لتقوية الفرد على تحمل شظف العيش وتلقف فجأة البلاء والتعايش مع الأزمات والإحساس بالفقير والمعوز قول رسول الله ﷺ: "تمعددوا واخشوشنوا.." [80]، هذا وقد قال رسول الله ﷺ: "فوالله ما الفقر أخاف عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوا فيها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم"[81]. ولا شك أن المعتاد على

---

[73]- **القرآن**، 16: 9.

[74]- أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، 22: 352.

[75]- الطبراني، **المعجم الكبير**، 13: 456.

[76]- البخاري، **الجامع الصحيح**، 8: 10؛ مسلم، **الجامع الصحيح**، 4: 1999. المراد بأهل السماء الملائكة.

[77]- البخاري، **الجامع الصحيح**، 8: 309.

[79]- عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، **أحاديث أبي الزبير** (الرياض: مكتبة الرشيد، دون طبعة، دون سنة)، 64.

[80]- سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، **المعجم الكبير** (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط:2، 1415ه)، 22: 353.

[81]- الطبراني، **المعجم الكبير**، 17: 26.

التنعم يخاف البذل والعطاء كي لا ينقص تنعمه، وهو من أوائل من يكون في خطر الانهيار عند بداية الأزمات أو أن يلجأ إلى الحرام والسرقة والمكر والخداع لتحصيل المال كي لا يفوته التنعم.

والخلاصة أن النهج النبوي كان يراعي النفوس لتسمو والمجتمع ليعلو بالتكافل والتعاضد، فما هي الحلول العملية المقترحة؟

المطلب الثالث: نصائح للحصول على مقومات الاستمرارية

التنمية المستدامة هي التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المستقبلية على تلبية احتياجاتها الخاصة. فالعنصر البشري بما لديه من قدرة على التجديد والابتكار والتطوير، يمكنه أن لا يجعل ندرة الموارد الطبيعية عائقًا نحو النمو والتقدم عن طريق الاستغلال الأفضل – إن لم يكن الأمثل – لطاقات المجتمع العلمية والإنتاجية، فضلًا عن الاستغلال الرشيد للموارد الطبيعية والاستثمارات المتاحة، ومن أهم ما نحتاج للعمل عليه:

العمل على التنمية البشرية: فالتنمية البشرية تهدف إلى توسيع مدارك الفرد، وإيجاد المزيد من الخيارات المتاحة أمامه، كما تهدف إلى تحسين المستويات الصحية، والثقافية، والاجتماعية، وتطوير معارف ومهارات الفرد، وجزء منها العمل على التربية الإسلامية الصحيحة عبر غرس حب الخير وأننا مستخلفون في الأجيال الصاعدة وتنفيرهم من الأنانية والظلم، وتثبيت القيم الراقية في نفوسهم.

التحول إلى الطاقة الشمسية فهي طاقة متجددة ونظيفة ولا تسبب أي تلوث للبيئة، فإن استخدام الألواح الشمسية لتوليد الكهرباء يعني بيئة أقل تلوثًا وطاقة كهربائية أكثر استدامة.

العمل على تشجيع العمارة الخضراء، وهو فرع متكامل من الهندسة المعمارية، وهو يزداد أهمية يومًا بعد يوم، فهو يشجع على المشاريع الصديقة للبيئة واستعمال المواد الأقل ضررًا كتصميم الحدائق ذات المناظر الطبيعية بالإضافة إلى حدائق مُستدامة للعائلات.

بذل الجهود لوقاية البيئة عبر نشر الوعي البيئي المجتمعي لتحقيق الاستدامة البيئية والمحافظة على الموارد الطبيعية والحد من التلوث بمختلف أنواعه عبر الندوات وورش العمل التثقيفية والدورات التأهيلية. إن التعمّق في ممارسة التفاصيل يسمح بفهم الحقائق البيئية وبالتالي يمكن اقتراح القوانين المتعلّقة بالعبور إلى البيئة المستدامة.

الحد من تلوث التربة: نظرًا لما تلعبه التربة من دور هام في نمو النباتات وصحة مستهلكيها والكائنات الحية التي تعيش بها لذا ينبغي إعداد برامج مراقبة جودة التربة وإجراء المسوحات البيئية لملوثات التربة وتأهيل التقنيات الخاصة بمعالجة والتخلص من النفايات.

الحد من تلوث المياه: حيث إنها أساسية لتلبية الاحتياجات البشرية في شتى المجالات، وبالنظر إلى محدودية مخزون المياه الجوفية غير المتجددة، التي تشهد استنزافا متسارعًا، علمًا بأن الطلب المرتفع على المياه في القطاع الزراعي يفاقم من مشكلة ندرة المياه.

الحد من تلوث الهواء وحمايته من مصادر الانبعاثات المختلفة إذ يشهد العالم ارتفاع في درجات الحرارة في جميع أنحاء العالم بسبب حرق الوقود الأحفوري وأسباب أخرى كثيرة.

تعميم مفهوم إعادة التدوير والمعالجة أي التحول للاقتصاد الدائري: الالتزام بضمان بيئة مستدامة وصحية للجميع من خلال المساهمة الإيجابية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي. وإحدى الطرق التي يمكنها من خلالها تحقيق ذلك هي الالتزام بممارسات أفضل لإدارة النفايات والتخلص منها، مثل اعتماد الاقتصاد الدائري. مثلًا استعمال البلاستيك المعاد تدويره لبناء الطرق؛ حيث يتميز البلاستيك المعاد تدويره بخاصيته على زيادة قوة الخليط الخرساني للإسفلت بعد إضافته إليه، ويقلل من كمية القار (البيتومين) المستخدم في خليط الإسفلت بنسبة 10% مما يجعله خيارًا اقتصاديًا. كما يحسن استخدام البلاستيك من صلابة خليط الإسفلت ومن متانته ومن فاعلية الرصيف الأسفلتي عمومًا، مما يجعله خيارًا مستدامًا وصديقًا للبيئة. ومع كون النفايات البلاستيكية تُمثل مشكلة حقيقية للبيئة، تساهم تقنية الطرق البلاستيكية في تحقيق اقتصاد دائري وذلك بتقليص النفايات وتعزيز استمرارية استخدام البلاستيك المستعمل.

إدارة النفايات الصلبة: ومنها مرافق استعادة المواد التي تتيح إمكانية فرز المواد القابلة للتدوير واستخلاصها، بالإضافة إلى عمليات التسميد التي يتم خلالها تحويل النفايات العضوية إلى سماد غني بالمغذيات، وفيما يتعلق بالنفايات التي لا يمكن معالجتها فيتم تحويلها إلى مصدر طاقة، كما تطوير أنظمة لإعادة تدوير مخلفات البناء والهدم.

الخاتمة

بعد هذه الجولة في بساتين السنة النبوية الشريفة نخلص إلى النتائج الآتية:

1- التأصيل الشرعي من السنة النبوية لأسس تنمية الموارد يُظهر بما لا يحمل اللبس في سبق السنة النبوية المطهرة لترسيخ مبادئ حماية الموارد الطبيعية.

2- هذه القيم العالية والأخلاق السامية فيها بلسم للجراحات النازفة وترياق لنكبات الزمان المتعاقبة، والتاريخ يشهد بروعة الالتزام وحكمته.

3- نحن مستخلفون في الأرض، ذلك بأن الموارد تنتقل كميراث بين الأجيال، ويدنا على أملاكنا يد أمانة.

4- نحن مسؤولون محاسبون، ولا شك أن الوازع الديني أقوى من أي دافع حسي أو معنوي آخر، وله الأثر البالغ على سلوكيات الفرد.

5- الضرر لا يُزال بالضرر، مبدأ فيه الحفاظ على مظاهر البيئة ومواردها الطبيعية بما يضمن سلامتها وإدامتها ورقيها وازدهارها.

6- الصدقة الجارية والوقف أمثلة عن النهج النبوي الذي حث على الاستفادة من الموارد المتجددة.

7- سبق السنة النبوية المطهرة لترسيخ مبادئ الكفاءة والعدالة والمسؤولية والمحاسبة في الوظائف العامة والخاصة، والأزمات العالمية بأنواعها هي نتيجة حتمية لفقد القيم والالتزام.

8- شرعنا الحكيم أمرنا بترشيد الاستهلاك وصون الموارد المائية والحيوانية والنباتية والبيئية.

9- ما الأزمات المتتالية إلا صولات وجولات لباطل من تهاون وإهمال وبغي وعدوان لا اندحار له إلا بسيف الحقّ والالتزام، والحل بدراسات واعية مستندة إلى الأحكام الشرعية الحكيمة.

التوصيات

1. التوعية على حكمة الأحكام وثمرات الالتزام، يلغي الكثير من الأزمات والمنازعات.
2. التوسع في الدراسة التطبيقية للنماذج النبوية الشريفة في جزئيات مسائل إدارة المال والأعمال والموارد عامة.

Bibliography

1. *Al-Qur'ān.*
2. *ʿAbd Allāh Bin Muḥammad Bin Jaʿfar Al-Maʿrūf Bi-Abī Al-Shaykh Al-Aṣbahānī. Aḥādīth Abī Al-Zubayr. Al-Riyāḍ: Maktabah Al-Rashīd, Without Year.*
3. *Aḥmad Bin ʿalī Al-Maʿrūf Bi-Ibn Ḥajar Al-ʿAsqalānī. Fatḥ Al-Bārī. Bayrūt: Dār Al-Maʿrifah, 1st Edition, 1379 AH.*
4. *Aḥmad Bin Muḥammad Abū ʿAbd Allāh Al-Shaybānī Al-Maʿrūf Bi-Ibn Ḥanbal. Musnad Aḥmad Bin Ḥanbal. Bayrūt: Dār Al-Risālah, 1st Edition, 1421 AH.*
5. *Aḥmad Bin Muḥammad Abū Sulaymān Al-Khaṭṭābī. Maʿālim Al-Sunan. Ḥalab: Al-Maṭbaʿah Al-ʿilmiyyah, 1st Edition, 1351 AH.*
6. *Aḥmad Bin Muḥammad Al-Maʿrūf Bi-Ibn Ḥajar Al-Haytamī. Tuḥfat Al-Muḥtāj Fī Sharḥ Al-Minhāj. Miṣr: Al-Maktabah Al-Tijārīyyah Al-Kubrā, 1357 AH.*
7. *Aḥmad Bin Shuʿayb Abū ʿAbd Al-Raḥmān Al-Nasā'ī. Al-Sunan Al-Ṣughrā = Al-Mujtabā Min Al-Sunan. Ḥalab: Maktab Al-Maṭbūʿāt Al-Islāmiyyah, 2nd Edition, 1406 AH.*
8. *ʿAlī Bin Al-Ḥasan Bin Hibat Allāh Abū Al-Qāsim Al-Maʿrūf Bi-Ibn ʿAsākir. Tārīkh Dimashq. Bayrūt: Dār Al-Fikr, 1415 AH.*
9. *Dr. Aḥmad Mukhtār ʿAbd Al-Ḥamīd. Muʿjam Al-Lughah Al-ʿArabiyyah Al-Muʿāṣirah. Bayrūt: ʿĀlam Al-Kutub, 1st Edition, 1429 AH.*
10. *Muḥammad Bin ʿabd Allāh Abū ʿabd Allāh Al-Ḥākim Al-Maʿrūf Bi-Ibn Al-Bayʿ. Al-Mustadrak ʿalā Al-Ṣaḥīḥayn. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿilmiyyah, 1st Edition, 1411 AH.*
11. *Muḥammad Bin Aḥmad Abū ʿAbd Allāh Shams Al-Dīn Al-Qurṭubī. Tafsīr Al-Qurṭubī. Al-Qāhirah: Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah, 2nd Edition, 1384 AH.*
12. *Muḥammad Bin ʿĪsā Bin Surah Al-Tirmidhī. Sunan Al-Tirmidhī. Bayrūt: Dār Al-Gharb Al-Islāmī, 1st Edition, 1998 AH.*
13. *Muḥammad Bin Ismāʿīl Abū ʿabd Allāh Al-Bukhārī. Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī. Bayrūt: Dār Ṭawq Al-Najāt, 1st Edition, 1422 AH.*
14. *Muḥammad Bin Ismāʿīl Al-Bukhārī. Al-Adab Al-Mufrad. Bayrūt: Dār Al-Bashā'ir Al-Islāmiyyah, 1st Edition, 1409 AH.*
15. *Muḥammad Bin Mukarram Bin Manẓūr Al-Ifriqī. Lisān Al-ʿArab. Bayrūt: Dār Ṣādir, 1st Edition, Without Year.*
16. *Muḥammad Bin Yazīd Abū ʿAbd Allāh Al-Qazwīnī Al-Maʿrūf Bi-Ibn Mājah. Sunan Ibn Mājah. Bayrūt: Dār Al-Risālah Al-ʿālamiyyah, 1st Edition, 1430 AH.*

17. *Muslim Bin Al-Ḥajjāj Al-Qushayrī. Ṣaḥīḥ Muslim. Bayrūt: Dār Al-Fikr, 1403 AH.*
18. *Sulaymān Bin Aḥmad Abū Al-Qāsim Al-Ṭabarānī. Al-Muʿjam Al-Kabīr. Al-Qāhirah: Maktabah Ibn Taymiyyah, 2nd Edition, 1415 AH.*
19. *Sulaymān Bin Aḥmad Bin Ayyūb Abū Al-Qāsim Al-Ṭabarānī. Makārim Al-Akhlāq. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah, 1st Edition, 1409 AH.*
20. *Sulaymān Bin Al-Ashʿath Abū Dāwūd Al-Sijistānī. Sunan Abī Dāwūd. Bayrūt: Al-Maktabah Al-ʿAṣriyyah, Without Year.*
21. *ʿUmar Bin ʿAlī Abū Ḥafṣ Al-Maʿrūf Bi-Ibn Al-Mulaqqin. Al-Badr Al-Munīr Fī Takhrīj Al-Aḥādīth Wa-Al-Āthār Al-Wāqiʿah Fī Al-Sharḥ Al-Kabīr. Al-Riyāḍ: Dār Al-Hijrah Li-Al-Nashr Wa-Al-Tawzīʿ, 1st Edition, 1425 AH.*